Adab Al-Rafidayn

https://radab.uomosul.edu.iq/

The theme of freedom in the novel "sharf" by Sonallah Ibrahim

Noor Adel Muhammad Hamid

Nineveh Education Directorate /

Al-Mohariben Primary School / Mosul - Iraq

Article Information

Article History:
Received April 14th , 2025
Revised May 29th , 2025
Accepted June 16th ,2025
Available Online March 1st ,2026

Keywords:
Value of freedom
Prison literature
Symbolism and liberation
Hope and struggle
Sanallah Ibrahim

Correspondence:
Noor Adel Muhammad Hamid
nooradel0091@gmail.com

Abstract

The novel "Sharaf" by Egyptian writer Sonallah Ibrahim is one of the most prominent works of Arabic prison literature, presenting a profound human and political experience that reflects issues of freedom and justice. Ibrahim was born in Cairo in 1937, and his literary experience was intertwined with the political and social reality of Egypt, making his novels a sincere expression of the concerns of both the individual and society.

The novel revolves around the character of "Sharaf," a simple young man who finds himself involved in a murder, turning the prison into a space through which the author reveals the constraints of society itself. The novel carries freedom as its central theme, transcending the individual to touch society as a whole, raising a fundamental question: how can freedom be achieved in a world overflowing with restrictions? The prison reflects a transformative phase for Sharaf, as he is forced to confront himself and contemplate the meaning of true freedom. The novel highlights that depriving an individual of the freedom to think and express leads to the destruction of the self, despite his psychological resistance to the oppression imposed upon him.

On the collective level, Ibrahim portrays the prisoners as a diverse group suffering from the corruption of the judicial and political system, affirming that the absence of justice hinders the achievement of collective freedom, and that the shared struggle against corruption is a prerequisite for the liberation of both the individual and society.

Among the novel's most notable features is its documentary style, where the author employs real documents and reports that lend credibility to the narrative and expose the contradiction between official discourse and the reality of prisoners. Alongside this, symbolism is powerfully present: the prison symbolizes oppression, while darkness, locks, and walls embody helplessness. These are countered by images of liberation, such as soaring birds and open skies that signify hope. The prison itself transforms into a living entity that exerts psychological pressure, yet amidst this oppression, freedom emerges as an indelible human dream, embodied in the prisoners' dreams and conversations about a better life.

In conclusion, "Sharaf" is not merely a prison tale, but a testimony to the human struggle for freedom. It connects the individual and society in their fight against injustice, affirming that freedom is a human right that restores dignity and grants the capacity for change.

DOI 10.33899/radab.v56i104.61683 ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0)

ثيمة الحرية في رواية شرف لـ صنع الله إبراهيم

نور عادل محمد حميد *

المستخلص:

تُعدّ رواية "شرف" للكاتب المصري صنع الله إبراهيم من أبرز أعمال أدب السجون العربي، إذ تقدّم تجربة إنسانية وسياسية عميقة تعكس قضايا الحرية والعدالة. وُلد إبراهيم في القاهرة عام 1937، وامتزجت تجربته الأدبية بالواقع السياسي والاجتماعي المصري، فجاءت رواياته تعبيرًا صادقًا عن هموم الفرد والمجتمع. تتمحور الرواية حول شخصية "شرف"، الشاب البسيط الذي يجد نفسه متورطًا في جريمة قتل، ليصبح السجن فضاءً يكشف من خلاله الكاتب قيود المجتمع ذاته. تحمل الرواية الحرية كثيمة رئيسة تتجاوز الفرد لتلامس المجتمع بأسره، وتطرح سؤالًا جوهريًا: كيف يمكن تحقيق الحرية في عالم يفيض بالقيود؟ يعكس السجن مرحلة تحوّل لشرف، إذ يُجبر على مواجهة ذاته والتفكير في معنى الحرية الحقيقية، فيما تُبرز الرواية أن حرمان الفرد من حرية التفكير والتعبير يؤدي إلى تدمير الذات، رغم مقاومته النفسية للقهر المفروض عليه.على المستوى الجماعي، يصوّر إبراهيم السجناء كمجموعة متباينة تعاني من فساد النظام القضائي والسياسي، مؤكدًا أن غياب العدالة يُعيق تحقيق الحرية الجماعية، وأن النضال المشترك ضد الفساد شرط لتحررّ الفرد والمجتمع معًا. من أبرز سمات الرواية اعتمادها على الأسلوب الوثائقي، حيث يوظّف الكاتب وثائق وتقارير واقعية تُضفي مصداقية على السرد، وتكشف التناقض بين الخطاب الرسمي وواقع السجناء. إلى جانب ذلك، تحضر الرمزية بقوة: فالسجن رمز للقهر، والظلام والأقفال والجدران تُجسّد العجز، بينما تُقابلها صور التحرر كالطيور المحلّقة والسماء المفتوحة التي تُشير إلى الأمل. يتحوّل السجن نفسه إلى كائن حي يُمارس الضغط النفسي، لكن وسط هذا القهر تظهر الحرية كحلم إنساني لا يُمحى، يتجسّد في أحلام السجناء وأحاديثهم عن حياة أفضل. في المحصلة، رواية "شرف" ليست مجرد حكاية سجن، بل شهادة على الصراع الإنساني من أجل الحرية، تربط بين الفرد والمجتمع في نضالهما ضد الظلم، وتؤكد أن الحرية حق إنساني يُعيد للإنسان كرامته ويمنحه القدرة على التغيير.

الكلمات المفتاحية: ثيمة الحرية - أدب السجون - الرمزية والتحرر - الأمل والنضال - صنع الله ابراهيم.

المقدمة:

تُعدُّ رواية "شرف "للكاتب المصري صنع الله إبراهيم إحدى أبرز الأعمال الأدبية التي تنتمي إلى أدب السجون في العالم العربي. تسلط الرواية الضوء على معاناة الإنسان داخل السجون، ليس فقط كحيز مادي ولكنه كفضاء يُقيد فيه الفكر والحرية والكرامة الإنسانية. من خلال هذه الرواية، يكشف إبراهيم النقاب عن الواقع المرير داخل السجون المصرية، ويتناول مجموعة من القضايا الاجتماعية والسياسية التي تعكس أبعادًا أعمق لثيمة الحرية في حياة الأفراد والمجتمعات.

القصة القصيرة جدا أو كما اصطلح عليها بـ (ق. ق. ج) هي اليوم جزء من خطاب التجديد والتحديث للمشاركة في تطوير الوعي؛ إذا ما نظر لها من المنظور الثيماتي الدلالي الذي يعنى بوجهة النظر التي يدار بها السرد في معالجة ثيماته المركزية، من خلال الشخصيات السردية، سواء تطابقت مع وجهة نظر المؤلف أو لم تتطابق.

***مديرية تربية نينوى/ مدرسة المحاربين الابتدائية-العر اق**

يقول (أوسبنسكس) في علاقة النص بالكاتب: "إننا لا نقصد روية المؤلف للعالم عموما مستقلة عن عمله، بل نقصد وجهة النظر التي يتبناها لتنظيم السرد في عمل معين"[1]، لذلك يرى معجب الزهراني[2] بأن هناك محورين أساسيين للثيمات المركزية والأساسية، يتولد عنهما موضوعات فرعية، تتزايد بتعدد المقاربات التطبيقية، ولا ينفيان بالطبع وجهة نظر المؤلف، ومنظوره السردي المتطابق أو المختلف مع شخصيات نصوصه ورؤاها وهو يبني العلاقات فيما بينها، "فالمحور الأول يتمثل في نزوع الكتابة القصصية إلى التعبير عن موقف الكاتب من قضايا الواقع الخارجي ... وأما المحور الثاني فيتمثل في توجيه الكتابة إلى التعبير عن قضايا الذات الفردية "[3]، واذا كانت الرواية تنفتح على الفعل السردي في صناعة دلالاتها من خلال تفكيك بؤر الثيمات المركزية، وربطها بثيمات فرعية، بوصفها عوالم لا نهائية، يمتزج فيها الواقع الحاضر بالخيالي المغيب[4]وانفتاحها على الزمان والمكان، واحتشادها بعوالم من الشخصيات المتداخلة في العلاقات، فإن القصة القصيرة جدا تتقاطع مع القصة القصيرة في منظورها السردي والثيماتي من خلال الاقتصاد اللفظي وتكثيف الدلالة والتناصات والرمزية، إلا أن ال (ق. ق. ج.) ومن خلال وضعية فضائها النصي، تعتمد بشكل رئيس على تبئير الثيمات المركزية، وتحويل النص السردي إلى حزمة مضغوطة من الدلالات المكثفة عبر انتقاء الكلمات المحملة بالمفارقات، والانزياحات، والتناصات، والرمزية في الزمن اللحظة والمكان اللحظة أيضا.

إن ال (ق ق ج) اليوم شكل تعبيري عن انتفاضة الذات، ظهرت في ظل هيمنة الوسائط التكنولوجية في شبكات التواصل الاجتماعي التي غيرت شكل التعبير الرمزي، من خلال فعل التجريب السردي الذي أعاد ترتيب عناصر النص، وخرق الضوابط المتعارف عليها في نظرية الأدب[5].

وقد أفاد البحث في معرفة مسار وتكنيك القصة القصيرة، والقصة القصيرة جداً من العديد من الشهادات لكتاب ونقاد القصة والرواية في السعودية التي أصدرتها جامعة الملك سعود في كتاب القصة القصيرة في السعودية (شهادات ونصوص)، جمع خالد اليوسف[6].

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل ثيمة الحرية كما تجلت في رواية "شرف"، إذ تعكس الرواية الصراع المستمر بين القيود الاجتماعية والسياسية وبين تطلعات الفرد للتحرر. تسرد الرواية تجربة شخصية البطل "شرف" في السجن، لكنها تتجاوز الحكاية الفردية لتقدم صورة شاملة عن منظومة القهر التي يعاني منها المجتمع. سيتم استعراض الرواية من عدة محاور رئيسة تشمل :أهميتها ضمن أدب السجون المصري، والملامح الفنية والأسلوبية التي وظفها الكاتب، والأبعاد السياسية والاجتماعية التي طرحتها، ودورها في تسليط الضوء على قضايا الحرية والكرامة الإنسانية.

يتناول البحث كذلك كيفية بناء صنع الله إبراهيم لروايته باستخدام تقنيات أدبية متميزة، مثل اللغة المباشرة، والحوارات الواقعية، والأسلوب السردي الذي يجمع بين الوثائقية والخيال. هذا المزج أسهم في تعميق الرسالة الإنسانية التي حملتها الرواية، مما جعلها مرآة تعكس واقع السجون، وفي الوقت ذاته، صرخة مدوية ضد الظلم والفساد.

(1) : بورش أوسبنسكس: شعرية التأليف بنية النص الفني وأنماط الشكل التأليفي، ترجمة سعيد الغانمي وناصر حلاوي (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة-المشروع القومي للترجمة، 1990 م)، ص2.

(2) : لمعجب الزهراني دراسة قيمة عن تحولات الكتابة في القصة القصيرة في السعودية والثيمات المركزية التي عالجتها وقد أفدت منها، ينظر: كتاب القصة القصيرة والقصة القصيرة جدا في الأدب السعودي، سلسلة المنتخب من دراسات الأدب السعودي (1)، تحرير حسين المناصرة وأميمة الخميس (الرياض: جامعة الملك سعود، 2013 م).

(3) : معجب الزهراني: الموضوعات المركزية ودلالاتها العامة، كتاب (القصة القصيرة والقصة القصيرة جدا في الأدب السعودي)، ص 87.

(4) : يُنظر: طه حسين الحضرمي، المنظور الروائي، ط1 (المكلا: دار حضر موت للدراسات والنشر، 2007م)، ص2.

(5) : زهور كرام، القصة قصيرة جداً نحو الوعي بأدبياتها (دراسة)، الراوي (مجلة)، العدد (26)، النادي الأدبي بجدة، مايو 2013م، ص 105- 106.

(6) : المرجع السابق، ص106

سيتناول البحث أيضًا الجوانب الفنية في الرواية، بما في ذلك استخدام اللغة كأداة مقاومة، والأسلوب الوثائقي الذي يعزز الواقعية، والتقنيات السردية التي جعلت القارئ يشعر وكأنه يعيش الأحداث. ومن خلال هذا التحليل، يُمكن الكشف عن كيف نجح صنع الله إبراهيم في تحويل الرواية إلى عمل أدبي مقاوم يعبر عن توق الفرد والجماعة إلى الحرية، وتتجاوز رواية "شرف" حدود السرد التقليدي لتصبح وثيقة أدبية تكشف عمق المأساة الإنسانية، حيث تُبرز الرواية بمهارة الصراعات التي يعيشها الأفراد داخل السجن وخارجه. ويظهر ذلك من خلال شخصية "شرف"، الذي يتعرض لتجربة قاسية تقلب حياته رأسًا على عقب. تبدأ الرواية بجريمة صغيرة ولكنها سرعان ما تتطور لتصبح مرآة تعكس النظام السياسي والاجتماعي الذي يساهم في تدمير إنسانية الأفراد، وعبر هذا البحث، سيتم تحليل كيف تُبرز الرواية ثيمة الحرية بوصفها جوهرًا وجوديًا لا يمكن للإنسان الاستغناء عنه، وكيف تتداخل هذه الثيمة مع قضايا مثل العدالة الاجتماعية، والكرامة، وحقوق الإنسان. وسيُعتمد على منهج نقدي تحليلي يجمع بين الجانب الموضوعي والجمالي في تناول الرواية، مستعينًا بالمراجع الأدبية والنقدية الموثوقة التي تسلط الضوء على أدب صنع الله إبراهيم وإبداعاته.

أهمية الدراسة

لا تكمن فقط في دراسة الأدب كفن إبداعي، بل في استقراء كيف يمكن للنص الأدبي أن يحمل أبعادًا فلسفية وفكرية عميقة تسلط الضوء على قضية الحرية، بوصفها محورًا أساسيًا في الرواية، في ظل السياقات السياسية والاجتماعية التي عايشها صنع الله إبراهيم، فإن ثيمة الحرية في الرواية ليست مجرد فكرة، بل هي صرخة إنسانية تطالب بالإصلاح والتغيير، وتجسد مواجهة شجاعة ضد الظلم.

كما يُبرز البحث الدور التوعوي للرواية، إذ يسهم في توجيه القارئ نحو فهم أعمق لآليات القمع وأثرها في المجتمع، وذلك من خلال تصوير الحياة داخل السجن كنسق مصغر يعكس الواقع الكبير .السجون في الرواية ليست مجرد مكان احتجاز، بل هي رمز للمجتمع بأسره، حيث تسود علاقات القوة، والفساد، وانعدام العدالة.

سبب اختيار الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تسلط الضوء على واحدة من أبرز القيم الإنسانية، وهي "الحرية"، التي تُعد جوهرًا أساسيًا لكرامة الإنسان ووجوده، وقد تم اختيار رواية "شرف" لصنع الله إبراهيم كموضوع لهذه الدراسة لأنها تمثل نموذجًا أدبيًا فريدًا ضمن أدب السجون، فهي تعكس بواقعية وعمق الأوضاع السياسية والاجتماعية في مصر، مع التركيز على تأثير القيود المفروضة على حرية الفرد والجماعة، وأسباب اختيار الدراسة تتضمن الأتي:

1) **: أهمية الرواية في أدب السجون العربي:** تُعد رواية "شرف" من أبرز الأعمال التي وثّقت الحياة داخل السجون المصرية بأسلوب أدبي مميز، مما يجعلها مادة خصبة لدراسة ثيمة الحرية في سياق أدب السجون؛ فالرواية ليست مجرد نص إبداعي، بل شهادة أدبية توثق تجارب وقضايا إنسانية وسياسية.

2) **: التركيز على قضية الحرية بوصفها ثيمة إنسانية:** تُبرز الرواية التوتر بين القيود المفروضة على الإنسان وتوقه إلى التحرر، سواء كان ذلك داخل السجن أو خارجه، ودراسة هذه الثيمة تسهم في استكشاف كيف يمكن للأدب أن يكون أداة مقاومة ووسيلة للتعبير عن تطلعات الشعوب.

3) **: أهمية البعد الاجتماعي والسياسي:** الرواية تعكس الواقع الاجتماعي والسياسي في مصر في مرحلة زمنية مملوءة بالتحديات، وتقدم نقدًا جريئًا للفساد، والظلم، والقمع. هذا يجعلها نصًا مهمًا لفهم العلاقة بين الأدب والمجتمع.

4) **: أهمية المنهج الفني والوثائقي:** استخدام صنع الله إبراهيم للأسلوب الوثائقي والواقعية في السرد يجعل الرواية فريدة من نوعها، ويقدم نموذجًا أدبيًا يستحق الدراسة لفهم كيفية توظيف الفن في تسليط الضوء على قضايا جوهرية كثيمة الحرية.

5) **: المساهمة في الدراسات الأدبية:** الدراسة تهدف إلى إثراء المكتبة العربية بتحليل علمي عميق لرواية "شرف"، وتسليط الضوء على دورها في تعزيز الوعي المجتمعي بالقضايا الإنسانية الكبرى.

6) **: الرسالة الأخلاقية والإنسانية للرواية:** الرواية ليست مجرد توثيق للأحداث، بل تحمل رسالة إنسانية عميقة تدعو إلى احترام حقوق الإنسان، وتعكس الصراع بين الاستبداد والكرامة، مما يجعل دراستها ضرورة لفهم الأبعاد الأخلاقية التي تطرحها، ومن ثم، فإن اختيار هذه الدراسة يعكس الرغبة في تحليل النصوص الأدبية التي ترتبط بقضايا معاصرة ومهمة، مثل الحرية، والعدالة، والكرامة الإنسانية، من خلال عمل أدبي يُعد أيقونة في أدب السجون المصري.

أهداف الدراسة.

1) : تحليل مضمون الرواية لفهم كيف تعكس ثيمة الحرية بوصفها جوهرًا إنسانيًا.
2) : استكشاف الأبعاد السياسية والاجتماعية التي ترتبط بثيمة الحرية في السياق المصري.
3) : تسليط الضوء على دور السجون في الرواية كرمز للقيود المجتمعية والسياسية.
4) : دراسة الأسلوب الفني واللغوي الذي وظفه الكاتب لتجسيد معاناة شخصياته.
5) : تقييم مدى تأثير الرواية في نشر الوعي المجتمعي بشأن القضايا الإنسانية الكبرى.

إشكالية الدراسة.

تطرح الرواية العديد من التساؤلات التي سيتم تناولها في البحث، منها:

- كيف يعكس السجن في رواية "شرف" أزمة الحرية الفردية والجماعية؟
- ما الرمزية التي استخدمها صنع الله إبراهيم في تصوير القيود النفسية والاجتماعية؟
- إلى أي مدى تنجح الرواية في تقديم الحرية كثيمة جوهرية تواجه منظومة القهر؟

منهجية الدراسة.

سيعتمد البحث على المنهج النقدي التحليلي الذي يجمع بين التحليل الموضوعي والبنية الفنية. وسيتم توظيف نظريات النقد الأدبي مثل المنهج الاجتماعي لفهم العلاقة بين النص وبيئته، والمنهج الرمزي لتفسير الدلالات العميقة للقيم المطروحة في الرواية. كما ستُستخدم مصادر علمية موثوقة، مثل الدراسات الأدبية والنقدية عن أدب السجون وعن أعمال صنع الله إبراهيم تحديدًا.

الدراسات السابقة

تُعدُّ الدراسات السابقة ركيزة أساسية لأي بحث علمي، فهي تسهم في استعراض الإطار الفكري الذي بُنيت عليه الدراسة، وتسليط الضوء على الجهود السابقة التي تناولت رواية "شرف" لصنع الله إبراهيم أو القضايا المرتبطة بأدب السجون وثيمة الحرية؛ فيما يلي استعراض لبعض الدراسات ذات الصلة:

1- كتاب "أدب السجون في مصر والعالم العربي (1952-1981)"، عبد الرحمن أبو عوف، تناول الكتاب تطور أدب السجون في مصر، وركز على تحليل القضايا التي يطرحها هذا النوع الأدبي، بما في ذلك قضايا الحرية والقمع، وقد أشار إلى رواية "شرف" كأحد الأمثلة البارزة التي توثق الحياة داخل السجن المصري وتطرح نقدًا اجتماعيًا وسياسيًا[1].

(1) : عبد الرحمن أبو عوف، دار الهلال، القاهرة، 2004، ص 113-145

2- دراسة: "أدب السجون بين التوثيق والإبداع"، للمؤلف: محمد فريد عبد الحافظ، تناولت الدراسة طبيعة أدب السجون بوصفه مزيجًا بين التوثيق والخيال الإبداعي، وناقشت كيف يمكن للأدب أن يكون وسيلة للتعبير عن ثيمة الحرية والكرامة الإنسانية. واستشهدت بالرواية كمثال على الاستخدام الفعّال للأسلوب الوثائقي[1].

3- رسالة ماجستيربعنوان: تصوير معاناة الإنسان في روايات صنع الله إبراهيم، للباحثة: هالة محمد عبد القادر،إذ ركزت الرسالة على تصوير معاناة الفرد في أعمال صنع الله إبراهيم، مع فصل مخصص لتحليل رواية "شرف"، تناولت الدراسة الجوانب الاجتماعية والسياسية التي عكستها الرواية، وسلطت الضوء على نقد النظام القضائي والسجني في مصر[2].

4- الكتاب: الحرية بين الواقع والخيال في الأدب العربي الحديث، للمؤلف: أحمد زكريا، تناول الكتاب مفهوم الحرية في الأدب العربي الحديث، وخصص جزءًا لدراسة أدب السجون،فقد تطرق إلى رمزية السجن كقيود على الحرية الفردية والاجتماعية، مستشهدًا برواية "شرف" بوصفها نموذجًا يعبر عن قهر الإنسان وتوقه للتحرر[3].

♦ تحليل الدراسات السابقة وأهميتها للدراسة.

1) : الإطار النظري والعملي، الدراسات السابقة قدمت رؤية نظرية وموضوعية عن أدب السجون وقضايا الحرية في الأدب، مما يشكل قاعدة قوية لدراسة رواية "شرف".

2) : الجوانب الفنية والرمزية، ركزت بعض الدراسات على الأسلوب الفني لصنع الله إبراهيم، وهو ما يساعد البحث الحالي على تحليل كيفية استخدام الكاتب للرمزية والوثائقية لإبراز ثيمة الحرية.

3) : الإضافة النوعية للدراسة الحالية، رغم وجود دراسات متعددة عن أدب السجون وثيمة الحرية، إلا أن البحث الحالي يسعى لتقديم رؤية شاملة ومركزة على تحليل الحرية في رواية "شرف" بوصفها ثيمة محورية، مع الجمع بين البعد الجمالي والموضوعي.

التمهيد

1- مفهوم الثيمة / الموضوعاتية.

يُعدُّ المنهج الموضوعاتي أحد المناهج النقدية الحديثة التي تسعى لرصد الموضوعات الرئيسة في العمل الأدبي؛ من خلال تتبعها ورصد مظاهرها، وتأليف جزئياتها التي تشكل موضوعاً رئيساً في العمل الأدبي، وقد تلقى النقاد العرب هذا المنهج من النقد الغربي، وقاموا بتوظيفه وتطبيقه في الدراسات الأدبية العربية، وتقريب المفاهيم لتتسق وروح الثقافة العربية، وسعوا إلى تطويره وتطبيقه على الإبداع العربي، حتى أصبح النقد الموضوعاتي أحد المناهج النقدية المتبعة في النقد العربي المعاصر[4].

وتأتي المقاربة الموضوعاتية لتسلط الضوء على جزئيات الموضوع التي تتضافر لتشكل فضاء موضوعيا واحدا ، يرتبط بعمل المبدع الأدبي، وتسعى إلى تتبع الدلالة التي تمثل عنصر الربط بين جزئيات الموضوع الواحد، فالموضوعاتية "دراسة لجانب الدلالة في السرد أو الشعر، ومع أن النقاد الموضوعاتيين أثاروا كثيرا من القضايا الجمالية والشكلية، إلا أن تتبع الوحدات الدلالية يبقى هو الهاجس الرئيس في كل نقد يعتمد ملاحقة الثيمات في النص [5].

(1) : محمد فريد عبد الحافظ، مجلة فصول، العدد 96، 2018

(2) : هالة محمد عبد القادر، جامعة القاهرة، كلية الآداب، 2010

(3) : أحمد زكريا، دار الشروق، القاهرة، 2007، ص 75-102

(4) : ينظر: المنهج الموضوعي في النقد الأدبي، محمد عزام منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩م، ص ٧٦ .

(5) : ينظر: سحر الموضوع عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر د. حميد الحمداني، مطبعة آنفو، فاس المغرب، ط٢، ٢٠١٤م، ص ٥٣.

وقد رام بعض النقاد العرب إلى توصيف العلاقة بين الموضوعات في الحقل الموضوعاتي؛ حين وُصفت الموضوعات بأنها أنهار" تلتقي عندها سواقي الأفكار، وفي مجاري الأنهار تحت المياه الجارية تتحرك الأنواء الفرعية بما يشكل تياراً قويا" [(1)].

كما ظهرت الموضوعاتية في الدرس النقدي بصفتها منهجا نقديا يبحث عن النقاط الأساسية التي يتكون منها العمل الأدبي[(2)].

وقد تداخلت المفاهيم بين المنهج الموضوعي والمنهج الموضوعاتي في بعض الدراسات إلا أن بعض الباحثين ركز على بعض الفوارق التي تميز المنهج الموضوعاتي في كونه يبحث في الموضوع أو الثيمة التي تشكل الكاتب لا شعوريا، وتظهر في كتاباته، وتتوارى خلف أساليبه، أما المنهج الموضوعي فهو منهج متعلق بدراسة النص من داخله غير متأثر بأي مؤثرات خارجية [(3)].

ويبرز المنهج الموضوعاتي في إيجاد العلائق وتوحيد الجزئيات المكونة للثيمة أو الموضوع من خلال أفكار المبدع المترددة في نتاجه، والمسيطرة على رؤاه وتأملاته، والمتوارية أحيانا خلف قناع موضوعات متفرقة، إلى جانب ترددها في ألفاظه وتركيباته. ولعل (الاطرادية) إحدى أهم السمات التي تكون الفضاء الموضوعي للمبدع، سمة أشار إليها (ريشار) في تنظيره للمنهج الموضوعاتي حين جعل هوس التكرار يدل على حيازة الموضوعات على فكر المبدع، وأن الموضوعات الكبرى هي التي تشكل المعمارية غير المرئية للعمل الأدبي[(4)].

وهو اطراد لا يقف عند الألفاظ وهي والمعاني فحسب، بل يتعدى ذلك إلى الأفكار والأساليب وفلسفة البناء اللغوي، وكان "جان بول ويبر" من أوائل من استخدم مصطلح الموضوعاتي أو الثيمي في الدراسات النقدية، وأطلق هذا المصطلح على الخصائص المهيمنة على أسلوب الأديب ؛ فجاء لفظ (ثيمة) مشتقا من المعجم الفرنسي من كلمة (Theme) وتحمل عدة معان من أبرزها الفكرة الأساسية والعنوان والبؤرة، والرمز، والنواة الدلالية وغيرها[5]، ويبرز فيها رصد الأفكار والموضوعات التي تتشكل منها الأفكار الرئيسة من خلال استقراء النصوص وتحليلها، وإبراز مظاهر الاتفاق في المعجم اللفظي والحقول الدلالية، كما أن المنهج الموضوعاتي يروم تشكيل صورة عامة للوحدة العضوية في أعمال المبدع الواحد، ويجمع شتات الجزئيات الموضوعية التي تكون الثيمات ويضعها ضمن نسق واحد ، معتمدا بذلك على التحليل المنطقي، والتأويل الدلالي لرصد مظاهر البناء[(6)].

إن تحديد الموضوعات الرئيسة في العمل الأدبي يشكل معماره اللامرئي، ويقوم بترتيبه وتنظيمه، ويأتي تكرار هذه الموضوعات أو جزئياتها دالا على استحواذها على أفكار الأديب؛ ومن ثم فإن هذا التكرار يأتي كالتنويع الذي يحيل العمل الأدبي إلى بناء منسجم في أصله، متنوع في طرائقه وأساليبه[(7)]، والمتأمل في رواية شرف لـ صنع الله ابراهيم يلحظ حضور "الحرية" بوصفه موضوعا شاملا تدور حوله بعض الأفكار والرؤى، فتظهر تارة بصورة جلية، وتحتجب تارة خلف موضوعات وأفكار أخرى، إلا أنها تتعاضد في بعض جزئياتها، لتشكل موضوعا واحدا استحوذ على فكر الشاعر، وانعكس على إبداعه، ومن هنا فقد جاءت هذه الدراسة محاولة رصد الموضوعات

(1) : المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق عبد الكريم حسن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ص ١٢٠.

(2) : ينظر: النقد الموضوعاتي، سعيد علوش شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، ط١، ١٩٨٩م، ص١٢.

(3) : ينظر: المصدر السابق، ص ١٦٥ .

(4) : المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق، عبد الكريم حسن، ص ٤١.

(5) : ينظر المقاربة النقدية الموضوعاتية د. جميل حمداوي، دار الألوكة، ص ٤... وينظر : ثيمة الموت في القصة الشعرية العربية مقاربة موضوعاتية، نسيمة زمالي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية . ع ٤٤ ٢٠١٨م، ص ١٥٨.

(6) : ينظر: سحر الموضوع د. حميد لحمداني، ص ٥٣.

(7) : ينظر: النقد الأدبي، جيروم روجي، ترجمة شكير نصر الدين، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ،دمشق ط١، ٢٠١٣م، ص ٨٠

الرئيسة التي تشكلت منها ثيمة الحرية في رواية شرف، ومدى ارتباطها وتداخلها لتشكل بدورها فضاء رحباً لـ الأديب صنع الله إبراهيم تهيمن على أفكاره ومعانيه، وترتبط بمشاعره وأحاسيسه.

2- التعريف بمؤلف رواية "شرف" صنع الله إبراهيم.

صنع الله إبراهيم هو كاتب وروائي مصري، ويُعد من أبرز رموز الأدب العربي الحديث، وأحد روّاد "أدب السجون" في مصر، ولد في 27 أكتوبر 1937 في حي الجمالية بمدينة القاهرة، مصر، درس القانون في جامعة القاهرة، ولكن اهتمامه بالأدب والصحافة طغى على دراسته الأكاديمية، ويُعد من رموز أدب المقاومة وأدب السجون، فقد اشتهر بكتاباته الجريئة التي تنتقد الأوضاع السياسية والاجتماعية، مسلطًا الضوء على قضايا القمع والحرية والفساد، نشأ في بيئة متواضعة وسط القاهرة، وتأثر بالأوضاع السياسية والاجتماعية المضطربة التي عاشتها مصر في النصف الأول من القرن العشرين، وبدأ مسيرته الأدبية بعد تجربة سياسية قاسية ، بانخراطه في العمل السياسي منذ شبابه، مما أدى إلى اعتقاله في حقبة حكم الرئيس جمال عبد الناصر، فقد قضى خمس سنوات في السجن بسبب انتمائه إلى تنظيمات يسارية، وهذه التجربة تركت أثرًا عميقًا على حياته وأعماله الأدبية، وتميز صنع الله بأسلوبه الوثائقي في الكتابة، إذ دمج بين السرد الأدبي والتقارير الواقعية، مما أعطى أعماله مصداقية وعمقًا فكريًا [(1)]، وصنع الله إبراهيم هو واحد من أبرز الكُتّاب في الأدب العربي الحديث، ويتميز أسلوب صنع الله إبراهيم بالواقعية النقدية والنهج الوثائقي، إذ يمزج بين الحقائق التاريخية والخيال الأدبي. يستخدم لغة مباشرة بسيطة لكنها عميقة وفعّالة، مما يجعل نصوصه مشحونة بالقوة الدلالية والمضمون النقدي، وبدأ مسيرته الأدبية برواية "تلك الرائحة 1966م"، التي أثارت جدلًا كبيرًا بسبب جرأتها في نقد الأوضاع السياسية والاجتماعية، و روايته "شرف"، الصادرة عام 1997م، تُعدُّ واحدة من أبرز أعماله في أدب السجون، إذ سلطت الضوء على أوضاع السجون المصرية، وناقشت بعمق قضايا القهر والفساد والحرية[(2)]، وحصل صنع الله على "جائزة ابن رشد للفكر الحر" عام 2004 تقديرًا لإسهاماته الأدبية، إلا أنه رفض "جائزة الرواية العربية" عام 2003 اعتراضًا على تدخل الأنظمة السياسية في الثقافة [(3)].

أبرز أعماله الأدبية:

1) : "تلك الرائحة" (1966). أولى رواياته، أثارت جدلًا كبيرًا بسبب جرأتها في تناول قضايا اجتماعية وسياسية.
2) : "اللجنة" (1981). رواية رمزية تُبرز مواجهة الإنسان مع السلطة.
3) : "بيروت بيروت" (1984). تناول فيها الحرب الأهلية اللبنانية.
4) : "شرف" (1997). واحدة من أهم روايات أدب السجون، تسلط الضوء على معاناة الإنسان داخل السجون المصرية.
5) : "العمامة والقبعة" (2008)[(4)]. تتناول الرواية علاقة الشرق بالغرب عبر التاريخ.

3- تقديم رواية "شرف" كمثال بارز في أدب السجون المصري.

تُعد رواية "شرف" [1997] مثالاً بارزاً في أدب السجون المصري، للكاتب المصري صنع الله إبراهيم، وهي إحدى أبرز الأعمال الأدبية في أدب السجون المصري، إذ نجح الكاتب في تقديم تصوير وثائقي عميق للحياة داخل السجون المصرية، وما تحتويه من قمع وظلم

(1)ينظر : "صنع الله إبراهيم: الرجل الذي رفض السلطة". العالم، محمود أمين، (2003)، مجلة الهلال، العدد الخاص بشهر يوليو، ص 12-25.

(2) ينظر:"أدب السجون في مصر: قراءة تحليلية"، أبو عوف، عبد الرحمن، (2004)، القاهرة: دار الهلال، ص 89-102.

(3) ينظر: "صنع الله إبراهيم وأدب المقاومة"، الرياحي، كمال. (2011)، مجلة العربي، العدد 634، ديسمبر، ص 54-60.

(4) : "دليل الأدب العربي الحديث" القلماوي، سهير. (2005). القاهرة: دار المعارف، ص 210-215.

اجتماعي، وتمثل الرواية شهادة حية عن القهر الذي يتعرض له الإنسان في ظل أنظمة قمعية، إذ تعكس من خلال شخصية البطل، شرف، معاناة الأفراد الذين يُسلبون حريتهم ويواجهون قسوة الحياة خلف القضبان[1].

يتناول إبراهيم في الرواية قضايا متعددة تمس جوهر الحرية، مثل الفساد المؤسسي، وسوء استخدام السلطة، والتناقضات الطبقية، وأحد أبرز سمات الرواية هو استخدام صنع الله إبراهيم للأسلوب الوثائقي الذي يجمع بين السرد الأدبي والتوثيق الواقعي، واستند الكاتب إلى تقارير وإحصائيات حقيقية ليضفي على النص مصداقية تُجبر القارئ على مواجهة الواقع القاسي الذي يتناوله. كما تُبرز الرواية أبعادًا رمزية للسجن، فقد يُصبح السجن مرآة تعكس قهر المجتمع ككل، وليس فقط قيود الجدران على الأفراد.

تُظهر الرواية أن الحرية ليست مجرد مفهوم فردي، بل هي قضية جماعية ترتبط بالعدالة الاجتماعية والسياسية؛ بهذا الأسلوب، رسخت "شرف" مكانتها كواحدة من أهم الأعمال التي تعبر عن أدب السجون في مصر، وأسهمت في تعزيز دور الأدب كوسيلة للنقد الاجتماعي والسياسي[2].

المبحث الأول: الثيمة الموضوعية لقضية الحرية في رواية "شرف

تتناول رواية "شرف" قضية الحرية من منظور جدلي يعكس تعقيدات الواقع الاجتماعي والسياسي في العالم العربي، ويصوّر صنع الله إبراهيم السجن كمرآة كاشفة لحالة انعدام الحرية، إذ يصبح القيد الجسدي رمزًا لقيد الفكر والإرادة، وتتشابك الأحداث لترسم صورة للمجتمع الذي يئن تحت وطأة الاستبداد والقهر الطبقي، بينما يعكس الصراع الداخلي للبطل "شرف" البحث عن كينونة تتجاوز قيود المكان والزمان؛ بهذه الرؤية النقدية، تضع الرواية الحرية كثيمة مركزية تتطلب وعيًا نضاليًا، لتتحول إلى طموح جماعي يهدف لتحرير الإنسان من كل أشكال الظلم[3].

توقفت عربة السجن أمام بوابة ضخمة مقوسة من الخشب الثقيل تعلوها لافتة تعلن عن رسالة المؤسسة بكلمتين مقتضبتين هما " التأديب والإصلاح " . لم يكن ثمة محاولة للتضليل ، فالكلمتان عبرتا بدقة عن الغرض المستهدف وهو المحافظة على تدفق المنح الأمريكية الموجهة للغرض نفسه التدفق لا التأديب والاصلاح) ، بل ومضاعفتها إن أمكن. و هو الأمر الذي تكشف لأشرف عبد العزيز سليمان منذ لحظة العبور[4].

إن تشكيل الوقائع التاريخية وفق قانون الرواية انطلاقا من رؤيته الذاتية بالاستناد إلى الوقائع التاريخية من خلال ما يسمى بالإيهام بالحقيقة، ويمثل في اعتقادي نوعا من أساليب التمرد الاسلوبي في البنيات الروائية عند صنع الله إبراهيم، ونذكر هنا بعض اللحظات التاريخية المسجلة في أعماله الإبداعية حين ينقل الينا مقولات للرئيس حسني مبارك :

"وأخيرا أقول لهم ان كلا منكم يفاخر بأنه ولد في مصر ونما في مصر، ولكن فخركم ان كل ما تنتجه بلادكم صنع في مصر وبسواعد عمال مصر ولن نمل الحديث عن مصر ورفعة مصر، مصر الاستقرار، مصر الامان، مصر تقديس الحرمات، مصر المجتمع

(1) : "أدب السجون في مصر: قراءة تحليلية" أبو عوف، عبد الرحمن (2004). القاهرة: دار الهلال، ص 89.

(2) : "صنع الله إبراهيم وأدب المقاومة"الرياحي، كمال، (2011). مجلة العربي، العدد 634، ديسمبر، ص 54.

(3) : إبراهيم، صنع الله، شرف، (45/1) القاهرة: دار الهلال، 1997

4 رواية شرف ،44

المترابط، مصر الصامدة رغم الطعنات في النور والظلام"، ومنه قول الرئيس مبارك كذلك في موضع آخر من رواية ذات: حققنا مفخرة لشعبنا العظيم[1].

إنها المداهنة الساخرة والمراهنة من طرف صنع الله ابراهيم على فارس خاسر، أو هكذا يريد ان يبلغنا الخطاب الروائي عند صنع الله ابراهيم في رواية ذات . وهو بذلك ينتهك حرمة الساسة بدهاء وهذه رغبته كما يوحي بذلك خطابه الروائي المولع باللغة السياسية ..و هو يحاول فوق ذلك ان يقنعنا أنه على حق ..وربما اختلفنا معه لإدراكنا ان مصر بإبائها التاريخي ليست مجرد شخصية سياسية ، ولا يمكن لأخطاء شخصية دراماتيكية سياسية ان تكون مدعاة لانتهاك تاريخ مصر بكل كبريائه ، ولعل المبرر الذي نقف عليه هنا ، هو رغبة صنع الله ابراهيم في التمرد على القيم التاريخية المتصلة بمصر السياسية لا التاريخية ، وهو تمثّل مشبوه ، فيه جنون وطيش ودعوة لبلبلة طائشة متمردة لا مبرر لها واقعيا.

يسترسل صنع الله إبراهيم في تسجيل التاريخ واعادة توضيبه في الرواية نفسها بهذه اللهجة الخطابية المباشرة الصارخة في تقديمها للمعنى دون مواربة، وكأننا أمام سياسي او اعلامي سياسي : " ممثل و كالة التنمية الدولية الأمريكية أمام الكونجرس الأمريكي .....منذ 1985 دخلت الولايات المتحدة مع الحكومة المصرية في حوار منتظم حول السياسات و يتم التشاور مع كبار المسؤولين المصريين مرة كل شهر على الأقل و يستكمل ذلك مع الوزارات المتخصصة"[2].

المطلب الأول: الحرية الفردية وصراع البطل مع القيود المجتمعية .

إن رواية "شرف" تشكل فنا روائياً تجريبيا وتجديديا، تتوجه باستراتيجيتها البنائية الفنية لخلق جمالية تعتمد على المتعة المعرفية العقلية؛ إذ تقوم على تشابك الوحدات السردية مع الوحدات التسجيلية الوثائقية متكئة على ما يعرف بتقنية الكولاج، والكولاج "تقنية تشكيلية سينمائية محدثة تعتمد على إعادة لصق المزق الخشنة المأخوذة من مادة الحياة الأولية لتدخل في تكوين جمالي جديد بحيث يتم مسح ما علق بمصدرها من بقايا الاستعمال الأول وتوظيفها في السياق الكلي الجديد"[3].

رواية شرف تُبرز الصراع بين الحرية الفردية والقيود المجتمعية من خلال شخصية "شرف"، الذي يواجه قمعًا اجتماعيًا يُجسد تناقضات الطبقة والسياسة. السجن يصبح رمزًا لقمع الحرية، إذ يتحول إلى انعكاس لمجتمع محكوم بالفساد والنفاق. من خلال رحلته، يظهر البحث عن الحرية الفردية كصراع دائم مع قيود تفوق المكان لتصل إلى المعايير المجتمعية التي تُعيق تحقيق الذات[4].

من مشهد دخول (شرف) إلى السجن ورشوته لحلاق السجن " هكذا كان شرف مستعدا للتضحية بعلبة كاملة للحيلولة دون الاستئصال الوحشي للشعر الذى عانى كثيرا في تربيته ومحاولة تطويعه للمودة المتقلبة . فأعطى الحلاق علبة سجائر عندما بلغه و هو يتوسل إليه : و حياتك تخف إيدك شوية . استخدم الحلاق مقصه في رفق فتساقطت الخصلات الثمينة على الأرض وكما يحدث في أمثال هذه الصفقات ، لم يتجاوز ما فاز به شرف من شعر طبقة لا يزيد سمكها عن سنتيمتر واحد[5].حيث بدت ثيمة الحرية من خلال تضحية شرف بعملة تستعمل في السجن ، وربما حاول الكاتب من خلال النص السابق ابراز الجوانب الشخصية وهي تتطلع إلى الحرية والكرامة.

المطلب الثاني: الحرية الجماعية والنقد السياسي والاجتماعي

تصوير السجن كرمز للقمع المجتمعي والسياسي، ويقدم "صنع الله" بناءه الروائي محصوراً في بؤرة مكانية تتسم بالضيق والقبح والقذارة المكانية المنصهرة مع الانحطاط النفسي والأخلاقي والحياتي للشخوص ممثلة بفضاء السجن المغلق؛ إذ يساعد هذا الفضاء على

(1) : ينظر: الأسلوب الوثائقي في السرد الروائي ،محمد عبد الرحيم ،مجلة القدس العربي ،ص 29، رواية ذات ، صنع الله إبراهيم ،دار الثقافة الجديدة . ط5 – 2011 – القاهرة ص 295

(2) : المرجع السابق

(3) : صلاح، فضل: أساليب السرد في الرواية العربية، الكويت: دار سعاد الصباح 1992، ص205.

(4) : إبراهيم، صنع الله، شرف، (45/1) القاهرة: دار الهلال، 1997

5 رواية شرف ،46

الكشف عن قبح الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للمجتمع المصري خاصة، والواقع العربي عامة، مشتبكا مع حركة القوى العالمية الخارجية المهيمنة على الشرق الأوسط، و"تأتي أهمية المكان الخاصة لا لكونه يمثل خلفية للحدث فحسب، بل كعامل من عوامل تشكيل الشخصية بوصفه أداة أو وسيلة للإدراك وتحقيق العدالة والتعرف على العالم الخارجي"[1].

وما دام الفن الروائي قائماً على بنية أو صياغة لغوية تشتبك مع فنون أخرى دون أن تفقد خصوصيتها، فإننا نجد رواية "شرف" قائمة على مستويات سردية مختلفة متشابكة، تجتمع خدمة لنقل رؤى الروائي وأفكاره من خلال حركة شخوصه في بنيتي الزمان والمكان ضمن تصاعد الأحداث وتشابكها، "إذ إن العمل الفني الجيد بوسعه أن يغير نظرتنا إلى الحياة، وبوسعه أن يكشف لنا نواحي الضعف والقصور في هذا الواقع، ويدفعنا إلى تغييره"[2].

العلاقة بين الحرية الجماعية والتغيير الاجتماعي كما طرحتها الرواية في مراحلها

رواية "شرف" لصنع الله إبراهيم تتكون من مراحل مختلفة، هذه المراحل تطلعنا على كيفية تطور القصة وتجربة البطل بالسجن، كما تعزز فهمنا لرحلته وتطوّر شخصيته في أثناء الأحداث.

هناك عدة مراحل مهمة في الرواية:

- مرحلة الاعتقال والتحقيق: بدأت القصة بإلقاء القبض على البطل، تبعه اقتياده إلى السجن للتحقيق.
- مرحلة التكيف مع السجن: وجد "شرف" نفسه يواجه تحديات كثيرة بين رفاقه السجناء والأجواء الصعبة.
- مرحلة المواجهة والصراع: إتاحة فرص للصراع للبطل مع إدارة السجن وسجينه الذي ظل يعيق طريقه.
- مرحلة التحول والتغيير: هناك تحولات كبيرة في شخصية البطل. كانت خبرة السجن سببًا في هذا التغيير.
- مرحلة الخروج من السجن والحرية: انتهت رحلة البطل بعد السجن. عاد إلى حياته الطبيعية بعد الإفراج عنه، وهذه المراحل المختلفة تشكل بنية الرواية وتساهم في تطوير الأحداث وتعميق فهم المعاناة التي يمر بها البطل في أثناء رحلته داخل السجن [3].
- يستعرض الذات السياسية المصرية في كف السياسيين الذين يراهم مجرد دمى قابلة للمزايدة.. يقول في هذا الشأن: "عندما مات جمال عبدالناصر وأصبح السادات رئيسا للجمهورية ، أراد البيروقراطيون أن يضعوا صورة الأخير مكان صورة سلفه على جدران المكاتب الحكومية والمؤسسات المختلفة ، لكن السادات رفض ذلك الاجراء ، مقدما لمواطنيه درسا قيما في الوفاء، فقد روي عنه قوله : ان الافضل من رفع صورة عبدالناصر تركها حتى تقع من تلقاء نفسها"[4] .

ويمضي السارد في بيان ممارسة ثيمة الحرية في إبراز أن السجناء لم يكونوا بمعزل عن واقعهم السياسي العالمي أو المحلي وبرز ذلك في : " مضى الصوت الجمهوري في رزانة فقرأ البسملة معلنا عن تقديم نشرة الأخبار الإسلامية التي استهلها بأخبار البوسنة والصومال قائلا ان الأمم المتحدة بقيادة الصليبي بطرس غالي لم تفعل شيئا للمسلمين . ثم تلا تقريرا خاصا عن أوضاع الأراضي المحتلة وصور الاضطهاد التى تنزلها اسرائيل بالشعب الفلسطيني . وقال ان اتهام إيران بدعم الإرهاب في مصر مزاعم أمريكية تمهد لضرب إيران بعد خطواتها السريعة في مجال الأسلحة الذرية وانتقل بعد ذلك إلى الأخبار المحلية فوصف مطاردة رجال الأمن للجماعة في الصعيد وأعلن أن وزير الزراعة قرر إزالة محصول قصب السكر واستبداله بالبنجر بعد أن عجز الأمن عن ملاحقة أفراد الجماعة . ثم زف إلى المسجونين

(1) : أنجيل، بطرس سمعان: دراسات في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة 1987، ص40.

(2) : أنجيل، بطرس سمعان: ص73.

(3) ينظر: يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار العارابي للنشر، بيروت، ط3، 2010، 85

(4) ينظر: رواية ذات :صنع الله ابراهيم . ص 22 –دار الثقافة الجديدة – القاهرة – ط 5 – 2011

نبأ اغتيال عقيد شرطة في أسيوط فتصاعدت صيحات التكبير من بعض الزنازين وتكرر التكبير عندما أكد أن أولياء أمور الطالبات في مدرسة إعدادية أعلنوا رفضهم لقرار وزير التعليم بنقل المدرسة التي فرضت الحجاب على الطالبات[1].

وبرز من خلال تداعيات السرد مدى تصاعد الوعي، وممارسة ثيمة الحرية من خلال الألفاظ التي ظنها الراوي، لتكبير السجناء على الإعلان عن مقتل عقيد شرطة وأحداث الإرهاب في صعيد مصر في هذه الأثناء.

المبحث الثاني: الجوانب الفنية والرمزية لثيمة الحرية في الرواية.

تُعدُّ رواية "شرف" لصنع الله إبراهيم أحد أبرز الأعمال الأدبية التي تتناول بجرأة وإبداع قضية الحرية، مستعرضةً الجوانب الفنية والرمزية التي تسبر أغوار هذا المفهوم.

ينطلق السرد من حياة شرف، الشخصية المحورية التي تعكس انكسارات الإنسان المصري في مواجهة قمع السلطة والقيود الاجتماعية، ومن خلال رمزية السجن، يبتكر إبراهيم مشهدًا يختزل واقع الإنسان المقيد، إذ تتعدى قضبان الزنزانة معناها المادي لتصبح رمزًا للقيود المفروضة على الروح والفكر، ويتجلى هذا في تصويره لتفاعل شرف مع زملائه السجناء، حيث تتداخل الشخصيات والخبرات لتشكل صورة مصغرة للمجتمع الكبير، بما يحمله من تناقضات وتحديات.

توظف الرواية تقنيات فنية متعددة لإبراز رمزية الحرية، مثل الاسترجاع الفني والحوار الداخلي، مما يُظهر النضال النفسي لشرف، فهو يُدرك تدريجيًا معنى الحرية الحقيقي بعيدًا عن التصورات السطحية، ويبرز صنع الله إبراهيم هذا النضال من خلال تفاصيل دقيقة وحوارات مملوءة بالتوتر والأسئلة الفلسفية، كما يُلقي الضوء على المفارقة بين الحرية الجسدية والحرية الفكرية، مُظهِرًا كيف يُمكن أن تكون الحرية وهمًا ما لم تكن متجذرة في الوعي والإرادة، الحرية ليست مجرد مطلب فردي، بل هي قضية جماعية تمثل صراعًا دائمًا ضد الظلم والاستبداد، يُبرز الكاتب عالَمًا مملوءاً بالثنائيات المتناقضة، و يصبح البحث عن الحرية تحديًا يطارد الشخصيات ويُعرّي الواقع بكل قسوته[(2)].

المطلب الأول: الأسلوب الوثائقي ودوره في إبراز ثيمة الحرية .

رواية "شرف" لـ صنع الله إبراهيم تكشف واقع السجون في مصر، تبرز تجارب السجناء وتسلط الضوء على المعاناة،هذا النوع غير شائع في أدبنا العربي، والفساد والرشوة هما جزء كبير من قصة الرواية، شخصية الدكتور رمزي تعرض رؤية جديدة للتغيير، والكاتب يوضح حياة السجناء بالتفصيل، يتكلم عن الأوضاع والقوانين هناك، ما يُضفي مصداقية على الرواية ويساعد هذا الوصف القارئ على فهم تحديات السجن، الرواية تفتح نقاشاً مهما عن قضايا اجتماعية وسياسية تتيح للناس رؤية أوسع لواقع السجون في مصر، ومشاكل النظام القضائي في مصر موضوع أساس في الرواية، ويَظهر التحديات التي يواجهها السجناء. هذا يعزز مكانة الرواية بين القراء والنقاد.

برع صنع الله إبراهيم بأسلوب متمرد في تشخيص الواقع السياسي المعاصر، وتصوير أمراض السلطة والحكم البراغماتي والانتهازية الوصولية وانتهاك حقوق الإنسان والزج به داخل السجون والمعتقلات السياسية، و سخريته من أنظمة الحكم العربية القائمة على الحكم الفردي والتسلط والاستبداد، من أبرز الأساليب التي يعتمدها في خطابه، لجوؤه إلى حد الصراخ المباشر، ولاسيما أنه عايش ثلاثة من الحكام عن قرب، وخاض معهم تجارب مباشرة، مناوشات نصية دون هوادة بدءا بالناصرية التي دخل معها في صراع منذ سن العشرين بسبب قضائها على المعارضة بشكل كامل ، وقد تميزت ثورته بشكل عام بالفضاضة والقسوة المبرحة[(3)]

ومضى التصاعد السياسي في قمع التظاهرات من خلال عرض السارد.

---

1 رواية شرف ،81-82

(2) : إبراهيم، صنع الله، "شرف" (135/1) القاهرة، دار المستقبل العربي، 1997.

(3) : أدب التمرد – ارهاصات الثورة في أعمال أدباء مصر – سوزان شاندا – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – ط1 - 2014 – القاهرة ص : 40 ص : 41.

المطلب الثاني: الرمزية الأدبية وصور القمع والتحرر

تُعدُّ رواية شرف لصنع الله إبراهيم لوحة أدبية متشابكة الرموز، تُجسد قيود السجن وتتناول معاني التحرر بأسلوب فني عميق، من خلال تصوير حياة شرف داخل السجن، تتجلى الرموز كأدوات تعبيرية تعكس مأزق الإنسان في مواجهة قيد الجسد والفكر. السجن نفسه يظهر في الرواية ليس كفضاء مادي فقط، بل كرمز مركزي للقمع الاجتماعي والسياسي، إذ تتداخل جدرانه وأقفال زنزاناته مع تفاصيل القيد النفسي والفكري الذي يعانيه أبطال الرواية.

تبدو الزنزانة رمزًا لواقع مجتمعي خانق، يُجبر الشخصيات على مواجهة ذاتها في عزلتها، مما يفتح أبواب التساؤل عن معنى الحرية الحقيقي، ويؤدي الظلام في السجن دورًا رمزيًا مهمًا، إذ يُجسد حالة الجهل والقهر التي تحيط بالمسجونين. هذا الظلام لا يُمكن كسره إلا بوميض داخلي يتولد من وعي الفرد ونضجه، وهو ما يختبره شرف تدريجيًا. فالشمعة التي يضيئها أحد السجناء وسط العتمة لم تكن مجرد أداة مادية لإنارة المكان، بل رمزًا عميقًا للأمل والإرادة البشرية التي تسعى لكسر قيد الظلام وإشعال شعلة التحرر الداخلي، ومن جهة أخرى، تستثمر الرواية رموز الطعام الممنوع والملابس الممزقة لتصوير معاناة الشخصيات. فالطعام القليل الذي يحصل عليه السجناء يصبح رمزًا للخضوع والحرمان، بينما الملابس المتهالكة تعكس انهيار الهوية الفردية أمام ماكينة القهر الجماعية.

غير أن تلك الرموز تمتزج بلحظات التمرد الصغيرة، كعصيان شرف أو محاولاته الصغيرة لإعادة ترتيب واقعه الداخلي، مما يُظهر بذور التحدي في وجه القيد.

الحمام الجماعي الذي يُوصف بدقة في الرواية يُعدّ رمزًا آخر للانتهاك والإذلال، إذ يُجبر الأفراد على التجرد من الخصوصية، مما يعكس مدى تحكم السلطة في أدق تفاصيل حياتهم. إلا أن إبراهيم يبرز لحظات من المقاومة الصامتة، كما في النظرات المتبادلة بين السجناء، والتي تحمل دلالات رمزية على التآزر الجماعي كخطوة أولى نحو التحرر.

أما عن رمزية الأبواب المغلقة والمفاتيح، فهي تتكرر باستمرار لتشير إلى فكرة الحرية المفقودة. المفتاح الذي يحتكره السجّان يصبح رمزًا للسلطة المطلقة التي تمنح وتمنع وفق أهوائها، بينما الباب المغلق يُعبر عن الانفصال التام بين الداخل والخارج. في أحد المشاهد، يتأمل شرف الباب الحديدي لزنزانته، متسائلًا إن كان القيد الحقيقي في الحديد أم في العجز الداخلي عن السعي للتحرر، وهو تساؤل فلسفي يكشف عن عمق الرمزية في الرواية، وفي سياق التحرر، تبرز الرموز الإيجابية كالأفق الذي يراه شرف من نافذة ضيقة. على الرغم من محدودية المشهد، إلا أن رؤية السماء تبعث في نفسه أملًا وإيمانًا بأن القيود الجسدية لا يمكن أن تسجن الروح إن هي أبت الخضوع. كذلك، الطيور التي تظهر عابرة في السماء تُعدّ رمزًا للتحليق بعيدًا عن كل ما يُقيد الإنسان، مما يمنح الرواية بُعدًا شعريًا في تصوير معاني الحرية[1].

بهذا المزج بين الرموز السلبية والإيجابية، يُبرز صنع الله إبراهيم براعته في تصوير السجن كمسرح للصراع النفسي والاجتماعي، إذ يتواجه الإنسان مع قيده وينبش أعماقه بحثًا عن معنى التحرر.

تصوير الحرية كحلم إنساني ورمز للأمل في رواية شرف.

في رواية "شرف" لصنع الله إبراهيم، تبرز الحرية كحلم إنساني خالد، تتجلى ملامحه في خيال السجناء وآمالهم التي لا تنطفئ، رغم ثقل القيود التي تكبلهم. من خلال شخصية شرف وزملائه في السجن، يُصوّر إبراهيم الحرية كحالة وجودية يتوق إليها الإنسان مهما بدت

(1) : إبراهيم، صنع الله، "شرف" (112/1، 138) القاهرة، دار المستقبل العربي، 1997.

مستحيلة، مما يضفي على الرواية بُعدًا فلسفيًا عميقًا يربط بين الحرية كثيمة وأمل داخلي يُقاوم الفناء، وتبدأ الرواية بتقديم السجن كعالم مغلق يُجسد القمع والانغلاق، إذ يجد شرف نفسه محاصرًا بين جدران صامتة تعكس شعورًا دائمًا بالعجز. ومع ذلك، يتخلل هذه العتمة شعاعٌ من الأمل يُضيء قلبه، مستمدًا من أحلام الحرية التي لا تفارق مخيلته، هذا الأمل يظهر بوضوح في وصفه للمساحات المفتوحة التي يتخيلها خارج السجن، كالأفق والسماء الممتدة، التي تتحول إلى رموز قوية للحرية المفقودة،في أحد المشاهد، يتحدث شرف عن حلمه بالخروج ليُعانق الهواء الطلق ويرى النور بلا حدود، ما يُبرز كيف تتحول الحرية إلى صورة ذهنية مثالية تُغذي روحه وتُبقيه على قيد الحياة، والحرية في الرواية ليست فقط مطلبًا جسديًا، بل حلمًا أوسع يتجاوز الزمان والمكان. ففي إحدى الحوارات بين السجناء، يتحدثون عن عالم بلا ظلم ولا قيود، مما يُظهر أن الحرية تُختزل في جوهرها كأمل جمعي يتشارك فيه الجميع. من هنا، تظهر الحرية كثيمة إنسانية عليا تُوحد البشر في مواجهتهم للظلم، و تتحول إلى طاقة مُحركة تُشعل نار الثورة داخل النفوس، ورمزية الطيور التي تُحلّق خارج السجن تضيف بُعدًا شعريًا لهذا الحلم. ففي أحد المشاهد، يُراقب شرف من نافذة ضيقة طائرًا يُحلق بعيدًا، ويتساءل كيف يمكن لهذا الكائن الصغير أن يمتلك الحرية التي يُحرم منها هو وزملاؤه، الطائر هنا يصبح رمزًا للأمل، ولإمكانية الانفلات من قبضة القيود مهما بدت قوية، كذلك، تمثل السماء المفتوحة التي يراها شرف من بعيد فضاءً بلا حدود، تُعبر عن الحرية التي يحلم بها وتغذي عزيمته، والحلم بالحرية لا يتوقف عند حدود الفرد، بل يتحول إلى رمز للتحرر الجماعي. في لحظات الصمت التي يعيشها السجناء معًا، تتقاطع أحلامهم وتتكامل في صورة أمل كبير يدفعهم للصمود، حتى في أشد لحظات اليأس، يبرز الأمل في الحرية كعنصر مُوحّد يُقاوم الهزيمة ويمنح الشخصيات دافعًا للتمسك بإنسانيتها، وبهذا، ينجح صنع الله إبراهيم في تقديم الحرية ليس فقط كحلم إنساني شخصي، بل كرمز للأمل الذي يُقاوم الفناء. إنها الضوء الذي يُضيء عتمة السجن، والروح التي تُحرك الشخصيات للاستمرار، مما يجعل من الرواية مرآة تعكس النضال الأزلي للإنسان في سبيل تحرير نفسه من كل أشكال القيود[1].

- إرجع زنزانتك إنت و هو ، بسرعة

رأيته يدفع نزلاء الزنزانة المجاورة داخلها بما فيهم النوبتجي الذي كان يغطي رأسه بطاقية حمراء . وكان بينهم صاحب فرن ضخم الجثة يمرمن فتحة الباب بصعوبة . وتابعت محاولات أبو حسين لإدخاله الزنزانة ، و ضحكت وأنا أراه يكاد يحمله حملا ممسكا بفلقتى مؤخرته الضخمتين ، جاء دورنا فدفعنا إلى الداخل وأحصى عددنا في هرولة ثم أغلق علينا الباب دون أن يحفل بالرد على استفساراتنا[2]

الخاتمة

تُعد رواية "شرف" لصنع الله إبراهيم، عملًا أدبيًا متكاملًا يُعبر بعمق عن ثيمة الحرية بوصفها جوهرًا للوجود الإنساني، وغايةً لا يمكن التنازل عنها، ومن خلال تصوير حياة البطل شرف داخل السجن، قدّم إبراهيم تجربة تُجسد صراع الفرد مع النظام القمعي والمجتمع المملوء بالقيود، واستطاع عبر أسلوبه الواقعي والنقدي أن يضع القارئ وجهًا لوجه أمام سؤال الحرية، ليس فقط كحق إنساني، ولكن أيضًا كأداة للمقاومة والتغيير، وتتجلى الحرية في الرواية كثيمة متعددة الأبعاد، فهي ليست فقط حرية الفرد في مواجهة سجنه الجسدي، بل تتعدى ذلك إلى حرية الفكر والاختيار؛ عبر شخصية شرف، عكست الرواية التوتر الدائم بين الرغبة في التحرر وبين القوة الهائلة، التي تفرضها السلطة على الإنسان.

يبرز السجن في الرواية كفضاء رمزي يُجسد القهر، و يتحول إلى مجتمع مصغر يكشف عن طبيعة الفساد السياسي والاجتماعي في الخارج، ومن خلال السجن، أوضح إبراهيم أن القيود ليست فقط مادية بل تمتد إلى العقل والروح، مما يجعل التحرر الحقيقي مرتبطًا بإرادة الفرد ووعيه.

نجح الكاتب في طرح قضية الحرية بأسلوب فني فريد، فقد استخدم الرموز الأدبية بمهارة ليعبر عن الصراع بين القيد والتحرر، وكانت الرموز مثل الجدران المغلقة والأقفال تعبيرًا عن حدود السلطة وسيطرتها، بينما ظهرت السماء والطير كإشارات للأمل والحرية. كما أظهر

(1) : إبراهيم، صنع الله، "شرف" (124/1،124/1) القاهرة، دار المستقبل العربي، 1997.

2 رواية شرف ،221

السجن في الرواية ليس فقط كمكان للقيد، بل ككائن حي يُمارس الضغط النفسي على السجناء، مما أضاف بُعدًا دراميًا عميقًا يعكس التحديات التي تواجه الإنسان في مسعاه للتحرر.

فضلا عن ذلك، أضفى الأسلوب الوثائقي الذي اتبعه الكاتب مصداقية كبيرة على السرد، استخدم إبراهيم وثائق وتقارير رسمية لتدعيم الرواية، مما جعل القضايا التي طرحها ملموسة وحقيقية، وعكست هذه الوثائق الفساد المستشري في الأنظمة القضائية والسياسية، وأظهرت بوضوح العلاقة الوثيقة بين الظلم المؤسسي وغياب الحرية، وساهم هذا الأسلوب في إيصال رسالة الرواية بشكل أكثر وضوحًا وواقعية، مما جعل القارئ يشعر بأنه جزء من معاناة الشخصيات ونضالها.

كما ألقت الرواية الضوء على الحرية الجماعية، فقد شددت على أن التحرر الفردي لا يمكن فصله عن التغيير الاجتماعي، من خلال حياة السجناء وتفاعلهم، أوضحت الرواية أن الحرية ليست مسألة تخص الفرد وحده، بل هي قضية جماعية تستدعي الوعي المشترك والنضال المشترك لتحقيقها، ربط إبراهيم الحرية الجماعية بفكرة التغيير، فقد قدم السجن كنموذج مصغر للمجتمع، وكشف عن الفساد والظلم كعقبات رئيسة أمام تحقيق الحرية، ورغم الأجواء القاتمة التي سيطرت على الرواية، فإنها حملت رسالة أمل واضحة، وأكدت الرواية أن الحرية، حتى وإن كانت مقيدة بالجدران والأسوار، تبقى حلمًا إنسانيًا لا يمكن سلبه، وظهر الأمل في أحلام شرف وأحاديث السجناء، وفي التفاصيل الصغيرة التي تُبرز مقاومة الإنسان لواقعه. أكدت الرواية أن النضال من أجل الحرية يبدأ من داخل النفس، وأنه حتى في أحلك الظروف، يمكن للإنسان أن يحتفظ بكرامته وحلمه بالتحرر، وفي النهاية، تُظهر رواية "شرف" أن الحرية ليست مجرد مطلب فردي، بل هي قضية إنسانية جوهرية تُعبر عن الكرامة والعدالة والمساواة، ونجح صنع الله إبراهيم في تقديم عمل أدبي عميق يُلامس قضايا الواقع وينقلها بأسلوب فني مميز؛ فلقد أظهرت الرواية أن الحرية، رغم كل التحديات، تظل الحلم الأكبر الذي يسعى إليه الإنسان عبر الزمن، وأن التمسك بها هو السبيل الوحيد لتحقيق التغيير وبناء مجتمع أكثر عدالة وإنسانية.

النتائج:

1) : الحرية ثيمة إنسانية جوهرية.
2) : أدب السجون أداة للنقد السياسي والاجتماعي.
3) : الصراع بين الفرد والنظام القمعي.
4) : الحرية الجماعية والتغيير الاجتماعي.
5) : استخدام الرموز الأدبية لتصوير القيد والتحرر.
6) : البيئة السجنية كشخصية روائية تعبر عن القهر.
7) الأسلوب الوثائقي لتعزيز واقعية الرواية.
8) : الحرية حلم وأمل إنساني.

Reference:

1. A Guide to Modern Arabic Literature" by Al-Qalamawy, Soheir (2005). Cairo: Dar Al-Maaref, pp. 210-215.
2. Al-Hayat Newspaper, London, by Saeed Al-Kafrawi, 2005.
3. Angel, Boutros Semaan.
4. Depiction of Human Suffering in the Novels of Sonallah Ibrahim, by Hala Mohammed Abdel Qader, Cairo University, Faculty of Arts, 2010.
5. Faculty of Arts Magazine, Mahmoud Ismail, Alexandria University, 2012.

6. Fusul Magazine, Muhammad Farid Abdel-Hafiz, Issue 96, 2018
7. https://blog.ajsrp.com
8. Literary Criticism, Jerome Rogé, translated by Shakir Nasr al-Din, Dar Al-Takween for Authorship, Translation and Publishing, Damascus, 1st ed., 2013.
9. Literature of Rebellion - Harbingers of Revolution in the Works of Egyptian Writers - Susan Chanda - Hindawi Foundation for Education and Culture - 1st ed. - 2014
10. Narrative Methods in the Arabic Novel - Salah, Fadl: Kuwait: Dar Suad Al-Sabah, 1992.
11. Objective Criticism, Saeed Alloush, Babel Printing, Publishing and Distribution Company, Rabat, 1st ed., 1989 AD, p. 12. :
12. Porsche Ospenskis: The Poetics of Composition: The Structure of the Artistic Text and the Patterns of Compositional Form, translated by Saeed Al-Ghanimi and Nasser Halawi (Cairo: Supreme Council of Culture - National Translation Project, 1990.(
13. Prison Literature in Egypt: An Analytical Reading . by Abu Auf, Abdel Rahman (2004). Cairo: Dar Al-Hilal.
14. Sanallah Ibrahim and the Literature of Resistance" by Al-Riyahi, Kamal (2011). Al-Arabi Magazine, Issue 634, December.
15. Sanallah Ibrahim: The Man Who Rejected Authority" by Al-Alam, Mahmoud Amin (2003). Al-Hilal Magazine, Special Issue for July, pp. 12-25.
16. Studies in the Arabic Novel, Egyptian General Authority, 1987.
17. The Book of Short Stories and Very Short Stories in Saudi Literature, Selected Studies of Saudi Literature Series, edited by Hussein Al-Manasra and Umaima Al-Khamis (Riyadh: King Saud University, 2013.(
18. The Documentary Style in Narrative Fiction - Muhammad Abdel Rahim, Al-Quds Al-Arabi Magazine.
19. The Magic of the Subject: On Thematic Criticism in the Novel and Poetry, by Dr. Hamid Al-Hamdani, Anfo Press, Fez. Morocco, 2nd ed., 2014.
20. The Novel of Sharaf, by Ibrahim, Sonallah, "Sharaf," Cairo, Dar Al-Mustaqbal Al-Arabi, 1997.
21. The Novel of Sonallah Ibrahim, Dar Al-Thaqafa Al-Jadida, Cairo, 5th ed., 2011.
22. The Novelistic Perspective, 1st ed., Taha Hussein Al-Hadrami, (Mukalla: Hadramout House for Studies and Publishing, 2007.(
23. The Objective Approach in Literary Criticism, Muhammad Azzam, Arab Writers Union Publications, 1999.
24. The Objective Approach: Theory and Application, Abdul Karim Hassan, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, 1st ed., 1990.
25. The Objective Critical Approach, Dr. Jamil Hamdawi, Dar Al-Alouka.
26. The Theme of Death in the Arabic Poetic Story: A Thematic Approach, by Nasima Zamali, Al-Quds Open University Journal for Humanities and Social Research, Issue 44, 2018.
27. The Very Short Story: Towards Awareness of its Literature (A Study), Narrator: Zahra Karam, (Magazine), Issue (26), Jeddah Literary Club, May 2013.